صفات الفتن في السنة النبوية

د. محمد عبد الرزاق أسود
أستاذ السنة النبوية وعلومها المشارك
في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الدمام

تاريخ التحكيم: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٧ تاريخ الإفادة: ١٨/ ٢/ ١٤٣٨

المستخلص:

ذكرت في البحث التعريف بمصطلحات البحث: (الصفة، الفتنة، السنة)، في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي، وأما المباحث فهي ما يلي: المبحث الأول: الصفة الأولى: كثرة القتل وإراقة الدماء، المبحث الثاني: الصفة الثانية: العذاب في الدنيا، المبحث الثالث: الصفة الثالثة: إقلال الأمانة وإمراج العهود، المبحث الرابع: الصفة الرابعة: مظلمة سوداء قوية، المبحث الخامس: الصفة الخامسة: محيطة بالناس كالظُّلل والظُّلم، المبحث السادس: الصفة السادسة: عمياء صماء بكماء، المبحث السابع: الصفة السابعة: كثيرة وعامة كقطر ومطر السماء، المبحث الثامن: الصفة الثامنة: شديدة وسريعة كرياح الصيف، المبحث التاسع: الصفة التاسعة: مواجة كموج البحر، المبحث العاشر: الصفة العاشرة: العرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً، المبحث الحادي عشر: الصفة الحادية عشرة: مترققة بعضها ببعض، ثم الخاتمة: وتتضمّن أهم النتائج، ثم التّوصيات.

الكلمات المفتاحية:

الصفة، الفتنة، السنة، النبوية.

مقدمة

الحمد لله الذي يسر لنا الأسباب المانعة من الضلال والافتتان، ووضح لنا الفتن وبيّن لنا الأسباب التي نتحصن بها أعظم بيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكريم المنان، أحمده على السرّاء والضرّاء؛ والعافية والبلاء؛ حمداً طيباً مباركاً فيه كما هو أهله؛ وصلى الله على سيّدنا محمد المصطفى خير الأنام؛ خاتم رسله وخيرته من خلقه، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة مستمرة باستمرار الزمان؛ وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد ظهر في وقتنا وفشا في زماننا من الفتن وتغيُّر الأحوال؛ وفساد الدين واختلاف القلوب؛ وإحياء البدع وإماتة السنن؛ ما دل على انقراض الدنيا وزوالها؛ ومجيء الساعة واقترابها؛ إذ كل ما قد تواتر من ذلك وتتابع وانتشر؛ أعلمنا به نبينا ﷺ وخوفناه؛ وسمعه منه صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وأدّاه عنهم التابعون رحمهم الله تعالى؛ ونقله أئمتنا إلينا عن أسلافهم؛ ورووه لنا عن عدولهم.

وقد رأيت أنه من المهم في هذا العصر جمع الأحاديث الواردة في صفات الفتن ودراستها، وبعد التأمل في أحاديث رسول الله ﷺ، وجدتها إحدى عشرة صفة.

وهذه الأوصاف تدعونا إلى شدة الحذر منها، وعدم الالتفات إليها، لا بفعل ولا بكلام، بل علينا الفرار منها واعتزالها، وتحذير الناس منها، ولا يمكن الخروج من ذلك إلا بنور العلم والإيمان.

ولأهمية موضوع الفتن فإننا نجده قد أخذ حيزاً كبيراً في المكتبة الإسلامية، وذلك بسبب كثرة الفتن، ولأنها تَرِد في كل زمان ومكان؛ إلا أنه لا يزال الموضوع بحاجة إلى بحث وعناية، لتحذير المسلمين منها.

أهمية البحث:

تتبين في الأمور الآتية:

١- إن حرص النبي ﷺ على ذكر صفات الفتن لتحذير أمته منها؛ دليل على أهمية هذا الموضوع وجلل خطره.

٢- الاستفادة من فقه صفات الفتن في السنة النبوية.

٣- إن ظهور بعض الفتن في كل عصر ومصر؛ يجعل دراستها في ضوء السنة النبوية أمراً بالغ الأهمية.

أسباب اختيار البحث:

تظهر في الأمور الآتية:

١- تكوين صورة واضحة عن صفات الفتن، ومعرفتها عند حدوثها للحذر منها.

٢- معرفة الفتن التي تكتنف عالمنا المعاصر من خلال صفاتها في ضوء السنة النبوية.

٣- التنبيه للاستعداد ليوم الرحيل بالعمل الصالح؛ لأن ظهور الفتن علامة من علامات الساعة.

مشكلة البحث:

تكمن في الآتي:

١- تبيين عدد صفات الفتن الواردة في الأحاديث النبوية.

٢- معرفة أقوال علماء الحديث المتقدمين والمتأخرين في أحاديث صفات الفتن وبيان معانيها.

٣- الدروس والعظات المستخلصة من أحاديث صفات الفتن.

أهداف البحث:

١- تأصيل مصطلحات البحث الأساسية.

٢- تبصير المسلمين بصفات الفتن، حتى يعرفوها بمجرد وقوعها.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث لم أجد دراسة مستقلة في هذا الموضوع، وإنما وجدته متناثراً في بطون الكتب.

حدود البحث:

تكمن في دراسة لكل الأحاديث النبوية الصحيحة أو الحسنة، واستبعاد الضعيفة المتفق على ضعفها، وتخريج الأحاديث المتصلة بصفات الفتن من كتب رواية الحديث النبوي المعتمدة؛ كالكتب التسعة مثلاً، ونحوها، ويلحق بها أقوال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وأقوال التابعين رحمهم الله تعالى، إذا كانت بحكم المرفوع، أو له صلة في معاني تلك الأحاديث.

منهج البحث:

فيتلخص في اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي، **وأما إجراءاته:** فتتلخص في الآتي:

١- اعتماد الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، وترك الضعيف المتفق على ضعفه.

٢- تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها الأصيلة، فما وجدته في الصحيحين اكتفيت بهما، فإن لم أجدها فيهما، انتقلت إلى كتب السنن، كالسنن

الأربعة، ثم المسانيد، ثم الموطآت، والمصنفات، والمستدركات، والمعاجم، ونحوها.

٣- الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين من خلال أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين.

٤- شرح الكلمات الغريبة في الأحاديث من كتب غريب الحديث.

٥- تتبع أقوال علماء الحديث المتقدمين والمتأخرين في دلالات الأحاديث ومعانيها في كتب شروح الحديث.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأحد عشر مبحثًا، وخاتمة، وتوصيات، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدوده، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث:(الصفة، الفتنة، السنة)، في اللغة العربية، والاصطلاح الشرعي.

المبحث الأول: الصفة الأولى: كثرة القتل وإراقة الدماء.

المبحث الثاني: الصفة الثانية: العذاب في الدنيا.

المبحث الثالث: الصفة الثالثة: إقلال الأمانة وإمراج العهود.

المبحث الرابع: الصفة الرابعة: مظلمة سوداء قوية.

المبحث الخامس: الصفة الخامسة: محيطة بالناس كالظُّلل والظُّلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

التعريف بمصطلحات البحث: (الصفة، الفتنة، السنة)

المطلب الأول

تعريف الصفة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي

أولاً: تعريف الصفة في اللغة العربية:

تطلق الصفة في اللسان العربي ويراد بها عدد من المعاني، منها ما يأتي:

١- تحلية الشيء.

٢- الأمارة اللازمة للشيء.

٣- إجادة السير: ومنه قولهم: وصفت الناقة وصوفًا، إذا أجادت السير.

٤- الوصيف: الخادم أوالخادمة، وسميا بذلك؛ لأنهما يوصفان عند البيع.

٥- «الحالة التي يكون عليها الشيء من حليته ونعته كالسواد والبياض، والعلم والجهل».

٦- وعند النحويين: «النعت، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل أيضـًا»[(١)].

ثانيـًا: تعريف الصفة في الاصطلاح الشرعي:

١- تعريف الصفة في اصطلاح علماء أصول الفقه: «لفظ مقيد لآخر ليس بشرط ولا استثناء ولا غاية»، ومعنى مقيد لآخر؛ أي مقلل لشيوعه فلا يرد النعت

---

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة وصف، معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: مادة وصف، المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: مادة وصف.

لمجرد المدح أو الذم، فإنه ليس من التخصيص بالوصف[١]، ولها تعريف آخر وهي: «التابع المشتق الذي يقع نعتاً للموصوف مثل: طالب ناجح، فلفظ: ناجح قيد به اللفظ المطلق وهو: طالب، وقيل: «هو ما أشعر بمعنى يتصف به بعض أفراد العام كقولك: أكرِم الطلاب الناجحين، فلفظ: الطلاب عام يشمل الناجحين والراسبين، ولما وصف الطلاب بالناجحين أخرج الطلاب الراسبين، فيكون الإكرام مقتصراً على الناجحين فقط[٢].

٢- تعريف الصفة في اصطلاح المتكلمين: «عبارة عن المعنى القائم بالذات»[٣]، ولها تعريف آخر عندهم وهي: «ما قام بالموصوف من نعوت»[٤]، «وتارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف، ومثاله: حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا التالي»، «وتارة يراد به المعاني التي دل عليها الكلام، كالعلم والقدرة»[٥].

٣- تعريف الصفة في اصطلاح الفلاسفة: «عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي يدل على الذات بصفة، كأحمر، فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود، وهو الحمرة»[٦]، وهو التعريف الذي أرجحه، ولها تعريف آخر عندهم وهي: «المعنى القائم بذات الموصوف»[٧].

٤- من خلال هذه التعاريف كلها نخلص أنها متقاربة في المعاني، والتعريف

---

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: ١/ ٣٢٦.

(٢) المهذب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم النملة: ٤/ ١٦٥٩.

(٣) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: ١/ ٣٢٦.

(٤) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة: حياة بن محمد بن جبريل: ١/ ٣٠٩.

(٥) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ٣/ ٣٣٥.

(٦) التعريفات: الجرجاني: ٢٥٢.

(٧) الكليات: أيوب بن موسى الكفوي: ٩٤٢.

المختار للصفة: «ما قام بالموصوف من نعوت»، وهو التعريف الراجح عندي، وهذا ما يهدف إليه البحث هنا.

المطلب الثاني
تعريف الفتنة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي

أولاً: تعريف الفتنة في اللغة العربية:

تطلق الفتنة في اللسان العربي ويراد بها عدد من المعاني، منها ما يأتي:

١- الابتلاء والامتحان، تقول: فتنت فلانـاً: إذا ابتليت صدقه وأمانته.

٢- اختلاف الناس بالآراء، فإن هذا الاختلاف قد يكون سبباً في الفتنة، ولا سيما إذا كان منشأ ذلك الاختلاف التشهي والهوى، وليس البحث عن الحق والهدى.

٣- الإضلال، وذلك أن الإنسان إذا امتلأ قلبه بالشبهة والشهوة فُتِن بهما؛ حتى يضل فيقع في الإثم العظيم من حيث يشعر أو لا يشعر، وهذه أهم المعاني التي فسّر بها العرب الفتنة؛ إلا أن جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار[(١)].

ثانياً: تعريف الفتنة في الاصطلاح الشرعي:

الفتنة شرعـاً لا تخرج بحال عن المعنى اللغوي الجامع[(٢)]، وذلك أن المعاني المذكورة يمكن إدراجها في هذا المعنى الجامع، فاختلاف الناس بالآراء هو ابتلاء لهم، ليعلم متبع الحق من متبع الباطل، والضلال ابتلاء لمن أوقع نفسه في أسبابه

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة فتن، معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: مادة فتن، المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: مادة فتن.

(٢) الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت: ٣٢/ ١٨.

حتى يجني ما اكتسبته يداه[١].

١- يمكن تعريفها بأنها: «ما يصيب المسلم من خير أو شر في دينه أو دنياه»[٢]، وهو التعريف الذي أرجحه، وبناء على هذا التعريف الشرعي، فإن الفتنة كما تكون بالشر تكون بالخير أيضـًا، بل ربما تكون الفتنة بالخير أشد من الفتنة بالشر، ويؤيد ذلك ما أخبرنا به الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين قال: «ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضرّاء؛ فصبرنا، ثم ابتلينا بالسرّاء بعده فلم نصبر»[٣].

٢- تأتي الفتنة بمعنى الفرقة والاختلاف: كما روى عرفجة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ستكون هنات وهنات[٤]، فمن أراد أن **يفرّق** أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنـًا ما كان[٥]»[٦].

٣- تأتي الفتنة بمعنى الوساوس: كما في حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان النبي

---

(١) الفتن وموقف المسلم منها: رؤية شرعية تأصيلية: د.علي الضويحي: ٩- ١١، أحداث وأحاديث فتنة الهرج: دراسة لفتنة القتال (الهرج) في تاريخ المسلمين: د.عبد العزيز دخان: ٤١- ٤٥.

(٢) الفتن وموقف المسلم منها: رؤية شرعية تأصيلية: د.علي الضويحي: ٣٣- ٣٤.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب (٣٠)، (الحديث: ٢٤٦٤): ٤/ ٦٤٢، وقال: «هذا حديث حسن»، قال الألباني: «صحيح الإسناد»، انظر: صحيح سنن الترمذي: ٢/ ٥٩٣.

(٤) جمع هنة؛ وتطلق على كل شيء، والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٤١-٢٤٢.

(٥) يدل الحديث على الأمر بقتال من خرج على الإمام؛ أو أراد تفريق كلمة المسلمين، ونحو ذلك؛ وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل؛ وإن لم يندفع شره إلا بقتله قتل. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٤١-٢٤٢.

(٦) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، (الحديث: ١٨٥٢): ٣/ ١٤٧٩.

ﷺ يتعوذ من خمس: من الجبن، والبخل، وسوء العمر، **وفتنة الصدر**[١]، وعذاب القبر»[٢]،[٣].

المطلب الثالث

تعريف السنة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي

أولاً: تعريف السنة في اللغة العربية:

تطلق السنة في اللسان العربي ويراد بها عدد من المعاني، منها ما يأتي:

١- ما يدل على الصقالة والملامسة، ومن ذلك إطلاقها على الوجه أو دائرته، أو صورته، فالمسنون: هو المصقول، ورجل مسنون الوجه: حَسَنُه سهْله.

٢- ترد السنة بمعنى العناية بالشيء ورعايته، يقال: سَنَّ الإبل يَسُنُّها سَنّـًا؛ إذا رعاها فأسمنها وأحسن رعايتها.

٣- وتأتي السنة بمعنى البيان، وسُنَّة الله تعالى: أحكامه وأمره ونهيه، وسَنَّها الله تعالى للناس: بيَّنها، وسنَّ الله تعالى سُنَّة أي بيَّن طريقـًا قويمـًا.

---

(١) ما يعرض فيه من الشكوك والوساوس. انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير: ٤/ ٣٦٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، (الحديث: ١٥٣٩): ١/ ٤٨١، واللفظ له، وقال الألباني: «ضعيف»، انظر: ضعيف سنن أبي داود: ١/ ١١٦، ورواه النسائي في سننه عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من فتنة الصدر، (الحديث: ٥٤٤٣): ٨/ ٢٥٥، قال الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح سنن النسائي: ١/ ٤٥٨، وكذلك في باب الاستعاذة من البخل، وهو مروي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (الحديث: ٥٤٤٦): ٨/ ٢٥٦، قال الألباني: «ضعيف»، انظر: ضعيف سنن النسائي: ١/ ١٨١، ورواه ابن حبان في صحيحه عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الرقائق، باب الأدعية، (الحديث: ١٠٢٤): ٣/ ٣٠٠، قال الأرناؤوط في هامشه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والروايات الضعيفة بشواهدها الصحيحة ترتقي إلى الصحيح لغيره.

(٣) اُنظر للتوسع: فقه التعامل مع الفتن: زين العابدين الغامدي: ٢٦- ٣٠.

٤- كما تأتي السنة بمعنى السيرة المستمرة، والطريقة، فالسُّنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة[١].

ثانيًا: تعريف السنة في الاصطلاح الشرعي:

هي: «ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو سيرة، أو صفة خُلقية، أو خَلقية»[٢]، وهو التعريف المختار الذي أرجحه في بحثي، وأكثر المحدثين أضاف إليها: «الصحابي أو التابعي»[٣]، وهذا التعريف هو مرادف لتعريف الحديث عند جمهور المحدثين، وأن معنى السنة والحديث مترادفان؛ لأن كليهما ينتهيان إلى النبي ﷺ في أقواله المؤيدة لأعماله، وأعماله المؤيدة لأقواله[٤]، وهذا هو الراجح؛ لأن التفريق بينهما هو تفريق لا مبرر له؛ وقد اتسع استعمال الحديث بعد وفاة الرسول ﷺ فأصبح يشتمل بالإضافة إلى القول فعله ﷺ وتقريره[٥]، في حين اعتبر بعض المحدثين أن معنى الحديث: «خاص بما أُثِرَ عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال دون التقريرات أو الصفات»[٦]، وأما لفظ الخبر، والأثر، فهما بمعنى السنة عند جمهور علماء الحديث[٧].

---

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة سنن، الصحاح: الجوهري: مادة سنن، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: مادة سنن.

(٢) معجم علوم الحديث النبوي: د.عبد الرحمن الخميسي: ١٢٨، شذرات من علوم السنة: د.محمد الأحمدي أبو النور: ٤٤.

(٣) منهج النقد في علوم الحديث: د.نور الدين عتر: ٢٨.

(٤) علوم الحديث ومصطلحه: د.صبحي الصالح: ١١.

(٥) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري: د.عبد المجيد محمود عبد المجيد: ١٣.

(٦) شذرات من علوم السنة: د.محمد الأحمدي أبو النور: ٦٦.

(٧) منهج النقد في علوم الحديث: د.نور الدين عتر: ٢٩، شذرات من علوم السنة: د.محمد الأحمدي أبو النور: ٦٦، السنة قبل التدوين: د.محمد عجاج الخطيب: ٢٢.

وفي عصرنا هذا ساد إطلاق مفهوم السنة غالباً على السنن العملية من النوافل والمستحبات، وذلك عند عامة المسلمين[١]، وهذا هو تعريفها بالأصل عند الفقهاء، وقد شاع ذلك خطأً في معناها؛ فقصروها على الوارد في كلام النبي ﷺ، أو كلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، مما يدل على سنية العمل المرغَّب فيه بالمعنى الاصطلاحي المتأخر عند الفقهاء فقط، وذلك خطأ يجب التنبه له، فإن لفظ السنة الوارد في الأحاديث، أو كلام الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، يعتمد المعنى الشرعي العام، فيشتمل على الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والآداب، وغيرها؛ وهذه فيها الفرض، والواجب، وكل مرغب فيه ومستحب مشروع من الأقوال والأفعال[٢]، وقد قيدت هذا البحث السنة بالنبوية حتى لا يدخل فيها أي شيء آخر من عمل الصحابي أو التابعي إلا إذا ثبت أنه كان مرفوعاً للنبي ﷺ.

المبحث الأول

الصفة الأولى: كثرة القتل وإراقة الدماء

هذه الصفة من أهم صفات الفتن؛ لأن الفتنة يتبعها في الأغلب القتل وكثرته، وهو ما أكدته أحاديث كثيرة، منها: ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، فذكر الحديث، قال فيه: كيف أنت إذا أصاب الناس موت[٣] يكون البيت فيه بالوصيف[٤]؟ يعني القبر، قلت: الله

(١) مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة: د.ناصر العقل: ٤٧.

(٢) السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني: عبد الفتاح أبو غدة: ٩، ١٩.

(٣) أي بسبب القحط، أو وباء من عفونة هواء أو غيرها. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٢٩.

(٤) البيت ها هنا القبر، والوصيف الخادم، يريد أن الناس يشتغلون عن دفن موتاهم؛ حتى لا يوجد فيهم =

ورسوله أعلم[١]، أو قال: ما خار الله لي ورسوله[٢]؟ قال: عليك بالصبر أو قال: تصبَّر[٣]، ثم قال لي: يا أبا ذر، قلت: لبيك وسعديك، قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت[٤] قد **غرقت بالدم**[٥]؟ قلت: ما خار الله لي ورسوله؟ قال: عليك بمن أنت منه[٦]، قال: قلت: يارسول الله، أفلا آخذ سيفي وأضعه على عاتقي؟ قال: شاركت القوم إذن[٧]، قال: قلت فما تأمرني؟ قال: تلزم بيتك، قلت: فإن دخل علي

=

من يحفر قبر الميت؛ أو دفنه؛ إلا أن يعطي وصيفاً أو قيمته، وقيل: معناه أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وقلة من يسكنها؛ فيباع بيت بعبد مع أن قيمة البيت تكون أكثر من قيمة العبد على الغالب المتعارف؛ وقيل: معناه أنه لا يبقى في كل بيت كان فيه كثير من الناس؛ إلا عبد يقوم بمصالح ضعفة أهل ذلك البيت. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٢٩.

(١) أي أعلم بحالي وحال غيري في تلك الحال وسائر الأحوال. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٢٩.

(٢) أي اختار. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٢٩، ٢٣٠.

(٣) بمعنى الأمر، أي اصبر. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٢٩.

(٤) هي محلة بالمدينة، وقيل: موضع كان بها الوقعة زمن يزيد، والأمير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة المري المستبيح حرم رسول الله ﷺ، وكان نزوله بعسكره في الحرة الغربية من المدينة، فاستباح حرمتها وقتل رجالها، وعاث فيها ثلاثة أيام، وقيل: خمسة، فلا جرم أنه انماع كما ينماع الملح في الماء، ولم يلبث أن أدركه الموت، وهو بين الحرمين. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٢٩، ٢٣٠.

(٥) أي لزمت، وفي بعض النسخ عرقت، والعروق اللزوم. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢٣٠.

(٦) أي الزم أهلك وعشيرتك الذين أنت منهم، وقيل: المراد الإمام، أي الزم إمامك ومن بايعته. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٣٠.

(٧) أي في الإثم؛ إذا أخذت السيف ووضعته على عاتقك، وهو لتأكيد الزجر عن إراقة الدماء وإلا فالدفع واجب، والصواب أن الدفع جائز إذا كان الخصم مسلماً إن لم يترتب عليه فساد، بخلاف ما إذا كان العدو كافراً؛ فإنه يجب الدفع مهما أمكن. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٣٠.

بيتي؟ قال: فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف[١]، فألق ثوبك على وجهك[٢] يبوء بإثمك وإثمه[٣]»[٤].

وتسمى هذه الفتنة بفتنة الهرج، وهي الاختلاف والقتل، والقتل سببه الفتن والاختلاف، والهرج هو الفتنة، فإرادة القتل من لفظه على طريق التجوز؛ إذ هو لازم معنى الهرج، وأصل الهرج الكثرة في الشيء يعني حتى لا يتميز[٥]، إذاً فالمقصود من فتنة الهرج: «هو تلك الصراعات والنزاعات والقتال الذي يقع بين المسلمين، نتيجة لاختلافهم في الرأي، أو لسبب آخر، فيشهرون السلاح على بعضهم، ويدخلون في دوّامة من العنف والقتال الذي تضيع معه الرؤية الصحيحة للأحداث، ويفتح المجال لكلّ عابث ليعبث بمصالح الإسلام وأهله»، وهناك أنواع من القتال لا تدخل في فتنة الهرج ولها أسماؤها المعروفة في كتب العلم؛ مثل: قتال الفئة الباغية عند حصول اقتتال بين طوائف المسلمين، وقتال البغاة، وقتال المحاربين وقطّاع الطرق، وقتال الصائل[٦].

---

(١) أي يغلبك بريقه ولمعانه، وهو كناية عن إعمال السيف. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٣٠.

(٢) أي لئلا ترى ولا تفزع ولا تجزع، والمعنى لا تحاربهم وإن حاربوك، بل استسلم. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٣٠.

(٣) أي يرجع القاتل بإثم قتلك، وبسائر إثمه. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ١٣٠.

(٤) رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، (الحديث: ٤٢٦١): ٢/ ٥٢٧، واللفظ له، قال الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/ ١٢، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، (الحديث: ٣٩٥٨): ٢/ ١٣٠٨، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث ٢١٣٢٥): ٣٥/ ٢٥٢، قال الأرناؤوط في هامش المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ١٨، ١٩.

(٦) أحداث وأحاديث فتنة الهرج: دراسة لفتنة القتال (الهرج) في تاريخ المسلمين: د.عبد العزيز دخان: =

وقد جعل بعض العلماء هذه الفتنة من الفتن العامة، التي تصيب عامة الناس، ويصبح الإسلام وأهله منها في بلاء عظيم، فيضعف الإسلام، ويهون أهله، وقد بدأت هذه الفتنة في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا تزال في هذه الأمة إلى يومنا هذا، إلى يوم القيامة، وهي عبر هذه العصور ما بين زيادة ونقص بحسب قرب الأمة من دينها، فإذا قربت من دينها خفّت، وإذا ابتعدت زادت[١].

وقد جاء في بعض الأحاديث أن الهرج هو القتل، فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، **ويكثر الهرج**، قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: القتل، القتل»[٢].

المبحث الثاني
الصفة الثانية: العذاب في الدنيا

وردت هذه الصفة في حديثين اثنين هما:

١ - ما رواه أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أمتي هذه[٣]

=

٥٠ - ٥٧، ٤٧٣.

(١) الفتنة وموقف المسلم منها: د.محمد عبد الوهاب العقيل: ٣٣- ٣٥، فقه التعامل مع الفتن: زين العابدين الغامدي: ٤٠، ٦٤- ٧٠، الفتن في الآثار والسنن: جزّاع الشمّري: ٦٣- ٦٤، ٧٦- ٧٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (الحديث: ٦٦٥٢): ٦/ ٢٥٩٠، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ١٥٧): ٤/ ٢٠٥٦.

(٣) أي الموجودين الآن؛ وهم قرنه، وقيل: إرادة أمة الإجابة. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٢/ ١٨٥.

أمة مرحومة[١]، ليس عليها عذاب في الآخرة[٢]، **عذابها في الدنيا**[٣]؛ **الفتن**، والزلازل[٤]، والقتل»[٥].

٢- وفي رواية أخرى عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة عذاب، إنما **عذابها في الدنيا**؛ القتل، والبلابل[٦]، والزلازل»، قال أبو النضر: «بالزلازل، والقتل، **والفتن**»[٧].

(١) أي رحمة زائدة على سائر الأمم؛ لكون نبيهم ﷺ رحمة للعالمين، بل مسمى بنبي الرحمة، وهم خير أمة. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري: ٨/ ٣٣٧٢.

(٢) بمعنى أن من عذب منهم لا يحس بألم النار؛ لأنهم إذا دخلوها أميتوا فيها، وهناك رأي آخر هو: إن المراد لا عذاب عليها في عموم الأعضاء لكون أعضاء الوضوء لا تمسها النار. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٢/ ١٨٥.

(٣) أي ليس عليهم عذاب في الآخرة؛ وإنما عذابهم على ما اقترفوه من الذنوب، فالبلاء والمحن والنكبات والمصائب؛ فهذه مكفرة لهذه، لكن هذا بالنظر للغالب للقطع بأنه لا بد من دخول بعضهم النار للتطهير، بمعنى أنه محمول على معظم الأمة لثبوت أحاديث الشفاعة في قوم يعذبون ثم يخرجون من النار. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٤/ ٣١٠، الفتاوى الفقهية الكبرى: ابن حجر الهيتمي: ٤/ ٢٣.

(٤) هي تحرك الأرض واضطرابها، وقيل: استعملت في الشدائد والأهوال. فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٢/ ١٨٥.

(٥) رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتن، باب ما يرجى في القتل، (الحديث: ٤٢٧٨): ٤/ ١٠٥، واللفظ له، قال الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/ ١٧، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٣٧٢): ٤/ ٤٩١، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال الذهبي في تلخيصه: «صحيح».

(٦) هي الهموم والأحزان، وقيل: الوساوس. انظر: النهاية في غريب الحديث: والأثر: ابن الأثير: ١/ ١٥٠.

(٧) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٩٦٧٨): ٢٣/ ٤٥٤، قال الأرناؤوط في هامشه: «ضعيف؛ يزيد وهو ابن هارون وهاشم بن القاسم رويا عن المسعودي بعد الاختلاط، وقد اختلف فيه على أبي بردة اختلافًا كثيراً»، وهذا الطريق الضعيف ينجبر ويرتقي إلى الحسن لغيره؛ لوجود طريق آخر صحيح مروي في سنن أبي داود.

وقد فسّر الصحابي الجليل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العذاب بالقتل الذي يحصل بين المسلمين؛ فقال: «إن هذه الأمة أمة مرحومة، لا عذاب عليها؛ إلا ما **عذبت هي أنفسها**، قال: قلت: وكيف تعذب أنفسها؟ قال: أما كان يوم النهر[١] عذاب؟ أما كان يوم الجمل[٢] عذاب؟ أما كان يوم صفين[٣] عذاب؟»[٤].

الحديث وارد في مدح أمته ﷺ، واختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم، وأنهم إن أصيبوا بمصيبة في الدنيا، حتى الشوكة يشاكها، فإن الله يكفّر بها في الآخرة ذنبًا من ذنوبهم، وليست هذه الخاصية لسائر الأمم، وأن رحمة هذه الأمة إنما هي على وجه الكمال، فهي مرحومة في الآخرة، وإنما عذابها في الغالب بأيدي بعضهم في الدنيا؛ فيكون مكفّراً لها في الآخرة، وأن غالب عذابها أنهم مجزيون بأعمالهم في الدنيا بالمحن، والأمراض، وأنواع البلايا، كما حقق في قول الله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[٥]، والحديث خاص بجماعة لم تأت بالكبائر، وقد تواترت الأحاديث في أن جماعة هذه الأمة من أهل الكبائر يعذّبون في

---

(١) هي معركة قتل فيها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخوارج، وذلك في سنة (٣٨هـ). انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد العيني: ١٥/ ٦٢، المحن: محمد بن أحمد التميمي: ٢٨٧.

(٢) هي معركة وقعت بين طلحة والزبير وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في سنة (٣٦هـ)، وسميت يوم الجمل؛ لأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تركب على جمل في هودج، وكانت هي التي خرجت بالناس. انظر: هامش صحيح البخاري: د.مصطفى البغا: ٤/ ٨٧، وكان خروج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في طلب الإصلاح بين الناس ولم يكن قصدها القتال، لكن لما انتشبت الحرب لم يكن لمن معها بد من المقاتلة، ولم ينقل عن أحد أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومن معها نازعوا عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ٥٦.

(٣) هي معركة وقعت بين معاوية وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في سنة (٣٧هـ). انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي: ٣/ ٥٣٧.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده، (الحديث: ٦٢٠٤): ١١/ ٦٧، وقال حسين أسد في هامشه: «إسناده صحيح».

(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

النار، ثم يخرجون إما بالشفاعة، وإما بعفو الله تعالى، ويمكن أن تكون الإشارة إلى جماعة خاصة من الأمة، وهم المشاهدون من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو المشيئة مقدرة؛ لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١]، وقيل: إن المراد بالأمة هنا من اقتدى به ﷺ كما ينبغي، ويمتثل بما أمر الله تعالى، وينتهي عما نهاه[٢].

وأن المقصود بالفتن التي منها استيفاء الحد ممن يفعل موجبه، وتعجيل العقوبة على الذنب في الدنيا؛ كالحروب، والهرج التي تحصل فيما بينهم، وشأن هذه الأمة يجري على منهج الفضل والسماحة بخلاف الأمم السابقة[٣]، فهذه الفتن والمحن والمصائب قد تكون سبباً في الفتح المبين، والنصر العظيم، وهي سنة الله تعالى في التمحيص والاختبار[٤].

المبحث الثالث

الصفة الثالثة: إقلال الأمانة وإمراج العهود

تدل هذه الصفة على قلة خيار الناس، وكثرة شرارهم، وهذا يؤدي إلى ذهاب الأمانة، ونقض العهد، كما روى عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر **الفتنة**؛ أو ذكرت عنده فقال: «إذا رأيتم الناس قد **مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم**، وكانوا هكذا؛ وشبك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت:

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري: ٨/ ٣٣٧٢- ٣٣٧٣.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٢/ ١٨٥.

(٤) بشائر على طريق العودة إلى الله: رشيد كهوس: ٦.

كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»[(١)].

وفي الحديث إشارة الى أن الناس يمرج بعضهم ببعض، ويلتبس عليهم أمر دينهم فلا يعرف الأمين من الخائن، ولا البر من الفاجر، والمعنى: الزم أمر نفسك، واحفظ دينك، واترك الناس ولا تتبعهم، وبعبارة أخرى اختلطت وفسدت عهودهم وأماناتهم؛ فلا يكون أمرهم مستقيماً بل يكون كل واحد في كل لحظة على طبع، وعلى عهد ينقضون العهود ويخونون الأمانات[(٢)]، ويدل الحديث على الخلاص من الفتن، والخصومات، وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها، والتعرض لأخطارها، وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات، فالمعتزل عنهم في سلامة منها[(٣)].

المبحث الرابع

الصفة الرابعة: مظلمة سوداء قوية

ورد هذا التشبيه في الأحاديث بقطع الليل المظلم، كما ورد بألفاظ أخرى تفيد بأنها فتن سوداء مظلمة؛ مثل: الجون، والأحلاس، والدهيماء، وهناك رواية تضيف

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، (الحديث: ٤٣٤٣): ٢/ ٥٢٧، واللفظ له، قال الألباني: «حسن صحيح»، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٥- ٦، ورواه النسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب التفدية، (الحديث: ١٠٠٣٣): ٦/ ٥٩، قال المنذري: «رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن»، انظر: الترغيب والترهيب، له، (الحديث: ٤١٥٠): ٣/ ٢٩٨، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٦٩٨٧): ١١/ ٥٦٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند: «إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب فقد روى له أصحاب السنن».

(٢) شرح سنن ابن ماجه: السيوطي: ١/ ٢٨٤، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري: ٨/ ٣٣٩٤- ٣٣٩٥.

(٣) إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي: ٢/ ٢٣٢.

بأن هذه الفتن السوداء المظلمة قوية كجبهة الثور، كما يلي:

١- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال **فتنًا كقطع الليل المظلم**، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمنًا، ويصبح كافراً[١]، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[٢].

وشبهت الفتن بقطع الليل المظلم؛ لشدة ظلمتها، وعدم تبين أمرها، وهذا يدل على التباسها، وفظاعتها، وشيوعها، واستمرارها، من حيث إنها شاعت ولا يعرف سببها، ولا طريق للخلاص منها[٣]، وفي الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة؛ كتراكم ظلام الليل المظلم؛ ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافراً، أو عكسه، وهذا لعظم الفتن؛ ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب[٤]، وقيل: إنها من الألفاظ التي يتبين ظهور

---

(١) يصبح الرجل مؤمنًا: أي موصوفاً بأصل الإيمان أو بكماله، ويمسي كافراً: أي حقيقة أو كافراً للنعمة أو مشابهاً للكفرة، أو عاملاً عمل الكافر، وقيل: المعنى يصبح محرمًا ما حرمه الله تعالى، ويمسي مستحلاً إياه وبالعكس؛ أي في تلك الفتن، والظاهر أن المراد بالإصباح والإمساء تقلب الناس فيها وقتًا دون وقت لا بخصوص الزمانين؛ فكأنه كناية عن تردد أحوالهم وتذبذب أقوالهم وتنوع أفعالهم من عهد ونقض، وأمانة وخيانة، ومعروف ومنكر، وسنة وبدعة، وإيمان وكفر. انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: المباركفوري: ٦/ ٣٦٤-٣٦٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، (الحديث: ١٨٦): ١/ ١١٠، وهذا الحديث حديث متواتر؛ بلغ مجموع طرقه ورواياته أربعًا وستين رواية منها أربع عشرة رواية أصولاً، والباقي وهي خمسون رواية متابعات. انظر: إثبات تواتر حديث بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم: د.أحمد يوسف أبو حلبية: ٣٨.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢٣٠، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٤/ ٨٣.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٣٣.

الجهل فيها، وخفاء العلم، فلهذا كان أهلها بمنزلة أهل الجاهلية[١]، وقيل: هي تتلاحق بعضها وراء بعض[٢]، وقيل: هي المتراكمة والمتكاثرة[٣]، فهذه الفتنة الداكنة التي تشتبه، ولا يتضح للمؤمن فيها الحق من الباطل، هي التي يشرع البعد عنها، وعدم الدخول فيها[٤].

وحاصل المعنى: تعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة؛ من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين؛ في أمر الدنيا والدين؛ فإنكم لا تطيقون الأعمال على وجه الكمال فيها، والمراد من التشبيه بيان حال الفتن من حيث إنه بشع فظيع، ولا يعرف سببها ولا طريق الخلاص منها، والمبادرة المسارعة بإدراك الشيء قبل فواته أو بدفعه قبل وقوعه، وشبهها بقطع الليل المظلم؛ لفرط سوادها وظلمتها، وعدم تبين الصلاح والفساد فيها، والمظهر فيه وجوه؛ أحدها: أنه سيكون بين طائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب فيستحلون الدم والمال، وثانيها: أن يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر؛ فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق؛ ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات؛ من إراقة الدماء وأخذ الأموال ونحوها، وثالثها: ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها[٥].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو تعلمون ما أعلم

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: ابن تيمية: ٤/ ٥٤٨.
(٢) الفتن والمخرج منها: د. محمد الشويعر: ٢٧٧.
(٣) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: سعيد القحطاني: ١/ ٨٦٥.
(٤) اجتياح حاكم العراق للكويت: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: ١٥.
(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: المباركفوري: ٦/ ٣٦٤-٣٦٥.

لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، يظهر النفاق، وترفع الأمانة، وتقبض الرحمة، ويتهم الأمين، ويؤتمن غير الأمين، أناخ بكم **الشُّرُفُ الجُون**، قالوا: وما الشرف الجون يا رسول الله؟ قال: **فتن كقطع الليل المظلم**»[١]، شبه الفتن في اتصالها وامتداد أوقاتها بالشُّرُف؛ لطول أعمارها؛ وهي النوق المسنة الهرمة، والجون هي السود[٢]،[٣].

٣- عن جندب بن سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رجل من بجيلة قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون بعدي **فتن كقطع الليل المظلم، تصدم الرجل كصدم جباه فحول الثيران**، يصبح الرجل فيها مسلماً ويمسي كافراً، ويمسي مسلماً ويصبح كافراً...»[٤].

فصفة هذه الفتنة المظلمة السوداء أنها قوية جداً، حيث شبهها النبي ﷺ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث ما ترك شيئاً يكون إلى أن تقوم الساعة إلا حدث به، (الحديث: ٦٧٠٦): ١٥/ ٩٩، واللفظ له، قال الأرناؤوط في هامش الصحيح: «خالد بن عبد الله الزبادي، ويقال: الزيادي، ترجم له البخاري، وابن أبي حاتم، وروى عنه اثنان، وذكره المؤلف في الثقات، وأبو عثمان: هو الأصبحي كما جاء مقيداً في المستدرك، قيل: اسمه عبيد بن عمرو، وقيل: ابن عمير، روى عنه جمع، وذكره ابن يونس في تاريخه، ولم يذكر فيه جرحاً، له ترجمة في التهذيب، وتعجيل المنفعة، وباقي رجال السند من رجال الشيخين غير حرملة، فمن رجال مسلم»، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب العلم، (الحديث: ٨٧٢٥): ٤/ ٦٢٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة»، ووافقه الذهبي في تلخيصه وقال: «صحيح»، وقال الألباني: «ومهما يكن حال هذا، وحال الذي قبله؛ فإني أرى أن حديثه هذا لا ينزل عن مرتبة الحسن». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، له: ٧/ ٥٩١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢/ ٤٦٣، جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير: ١٠/ ٥٤.

(٣) العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور بن حسن آل سلمان: ١/ ١٦٨.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفتن، باب من كره الخروج في الفتنة وتعوذ عنها، (الحديث: ٣٧٤٣٠): ٧/ ٤٨٥- ٤٨٦، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «إسناده حسن». انظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: له، كتاب الفتن، باب الأمر باتباع الجماعة، (الحديث: ٤٣٤١): ١٧/ ٥٦٨.

بصدمة على رؤوس الثيران القوية كما هو معلوم.

٤- عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن، فأكثر من ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل: يا رسول الله، وما **فتنة الأحلاس**؟ قال: «هي هرب وحرب، ثم فتنة السرّاء، دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني؛ وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع[(١)]، ثم **فتنة الدهيماء** - تصغير الدهماء - لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين - المدينة التي يجتمع فيها الناس -، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»[(٢)].

وفتنة الأحلاس إنما شبهها بالحلس لظلمتها والتباسها، أو لأنها تركد وتدوم فلا تقلع، وأن سبب إثارتها وهيجها رجل من أهل بيت النبي ﷺ[(٣)]، وفتنة الدهيماء هي الفتنة المظلمة، وهذا التصغير على طريق المذمة لها، وقيل: لتعظيم أمرها وتهويلها[(٤)].

---

(١) أي أنهم يجتمعون على رجل غير خليق للملك ولا مستقل به؛ وذلك لأن الورك لا يستقر على الضلع ولا يلائمها، وإنما يقال في باب المشاكلة والملاءمة هو كرأس في جسد أو كف في ذراع، أو نحوهما من الكلام، أي على أمر واه لا نظام له. انظر: غريب الحديث: الخطابي: ١/ ٢٨٧، جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير: ١٠/ ٢٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، (الحديث: ٤٢٤٢): ٢/ ٤٩٥ واللفظ له، قال الألباني: «صحيح»، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٥- ٦، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٦١٦٨): ١٠/ ٣٠٩، قال الأرناؤوط في هامش المسند: «رجاله ثقات رجال الصحيح؛ غير العلاء بن عتبة، وثقه ابن معين والعجلي، وقال أبو حاتم: شيخ صالح الحديث، وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات».

(٣) غريب الحديث: الخطابي: ١/ ٢٨٧، جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير: ١٠/ ٢٣.

(٤) غريب الحديث: الخطابي: ١/ ٢٨٧، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢/ ١٤٦، جامع =

المبحث الخامس
الصفة الخامسة: محيطة بالناس كالظُّلل والظُّلم

قد وردت هذه الصفة في حديث واحد بروايتين اثنتين هما:

١- ما رواه كرز بن علقمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رجل: يا رسول الله، هل للإسلام من منتهى؟ قال: «أيما أهل بيت؟ وقال: في موضع آخر قال: نعم، أيما أهل بيت من العرب، أو العجم أراد الله بهم خيراً؛ أدخل عليهم الإسلام، قال: ثم مه؟ قال: ثم تقع **الفتن كأنها الظُّلل**، قال: كلا[(١)] والله إن شاء الله، قال: بلى والذي نفسي بيده؛ ثم تعودون فيها أَسَاوِدَ[(٢)] صُبّـًا[(٣)] يضرب بعضكم رقاب بعض»[(٤)].

٢- وأيضـًا ما رواه كرز الخزاعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال أعرابي: يا رسول الله، هل لهذا الإسلام من منتهى؟ قال: «نعم؛ من يرد به خيراً من عرب أو عجم، أدخل

=

الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير: ١٠/ ٢٣.

(١) لم يقل إنكاراً لذلك، وإنما قال إظهاراً لمحبته أن يبقى إلى آخر الأمد. انظر: هامش مسند أحمد: السندي: ٢٥/ ٢٦١.

(٢) جمع أسود، وهي الحيات. انظر: هامش مسند أحمد: السندي: ٢٥/ ٢٦١.

(٣) أي كأنهم حيات مصبوبة على الناس من السماء، والمعنى كما قال سفيان: «الحية السوداء تنصب: أي ترتفع»، وقال الزهري: «أساود صبـًا؛ يعني الحية إذا أراد أن ينهش، ارتفع ثم انصب». انظر: هامش مسند أحمد: السندي: ٢٥/ ٢٦١.

(٤) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٩١٧): ٢٥/ ٢٦٠، واللفظ له، قال الأرناؤوط في هامش المسند: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير صحابيه فإنه لم يرو له أصحاب الكتب الستة»، ورواه الطبراني في في المعجم الكبير، (الحديث: ٤٤٤)، ١٩/ ١٩٨، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، والبزار، والطبراني بأسانيد، وأحدها رجاله رجال الصحيح»، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، له، (الحديث: ١٢٣٤٥- ١٢٣٤٦): ٧/ ٣٠٥، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٤٠٣): ٤/ ٥٠٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة».

عليهم، قال: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: ثم تقع **فتن كَالظُّلَم**، قال: كلا والله يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: بلى والذي نفسي بيده؛ لتعودن فيها أَسَاوِدَ صُبًّا، يضرب بعضكم رقاب بعض، فخير الناس يومئذ مؤمن معتزل في شعب من الشعاب يتقي الله ويذر الناس من شره»(١).

والفتن التي تقع وكأنها الظُّلل وهي السحاب أو الجبال(٢)، أو كأنها الظُّلَم وهو السواد، وكلاهما يحيط بالناس من كل جهة، وأن الناس سيضرب بعضهم رقاب بعض، كما تنصب وترتفع الحية السوداء على الملدوغ فتلدغه، فالفتن لها ظُلل وظُلم تنال من دين الخائض فيها، ولا سيما وهي سوداء وعمياء ومطبقة، لا يظهر لها قُبُل من دبر، ولا ظهر من وجه، وكأنها حيات مصبوبة على الناس من السماء، فالأساود هي الحيات، وشبهت الفتن بها؛ لشدة سوادها وكثرتها، وعظم شأنها، وأنها يتبع بعضها بعضًا، فهي متراكمة كالظُّلل والظُّلَم، وأكثر ما يظهر ذلك عند تقاتل المسلمين، وسفك بعضهم دماء بعض، كما حصل ويحصل في سلسلة الحروب التي ظهرت في بعض دول العالم الإسلامي كالعراق مثلاً، وانقسم المسلمون على إثرها إلى مؤيد ومعارض، وهي من الفتن العامة(٣)، وقيل: الأساود جمع أسودة؛ وهو جمع سواد من الناس وهو الجماعة، أي جماعات مائلة إلى الدنيا متشوفة إليها(٤).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب الرهن، باب ما جاء في الفتن، (الحديث: ٥٩٥٦): ١٣/ ٢٨٧، واللفظ له، قال الأرناؤوط في هامشه: «إسناده حسن»، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده، (الحديث: ١٣٨٦): ٢/ ٦١٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٣/ ١٦٠.

(٣) العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور آل سلمان: ١/ ٤٨- ٤٩، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة: حسين الحازمي: ٩٩-١٠١.

(٤) الفائق في غريب الحديث والأثر: الزمخشري: ٢/ ٢٠٨.

المبحث السادس

الصفة السادسة: عمياء صماء بكماء

قد وردت هذه الصفة في حديثين اثنين هما:

١- روى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير؛ وكنت أسأله عن الشر، وعرفت أن الخير لن يسبقني، قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ فقال: «يا حذيفة، تعلّم كتاب الله واتبع ما فيه، ثلاث مرات، قال: فقلت: يارسول الله، بعد هذا الخير شر؟ فقال: يا حذيفة، تعلّم كتاب الله واتبع ما فيه، قلت: يارسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: فتنة وشر، قلت: يارسول الله، بعد هذا الشر خير؟ قال: يا حذيفة، تعلّم كتاب الله واتبع ما فيه، ثلاث مرات، قلت: يارسول الله، بعد هذا الشر خير؟ قال: هدنة على دخن[(١)] وجماعة على أقذاء[(٢)] فيها أو فيهم، فقلت: يا رسول الله، الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه[(٣)]، قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: يا حذيفة، تعلّم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات، قال: قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: **فتنة عمياء صماء** عليها دعاة على أبواب النار[(٤)]، فإن تمت يا

---

(١) أي على فساد واختلاف، تشبيهاً بدخان الحطب الرطب لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢/ ١٠٩، عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢١٣.

(٢) أراد أن اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم، فشبهه بقذى العين والماء والشراب. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢١٤.

(٣) أي لا تصير قلوب جماعات، أو لا ترد الهدنة قلوبهم، على الصفاء الذي كانت عليه تلك القلوب، أي لا تكون قلوبهم صافية عن الحقد والبغض؛ كما كانت صافية قبل ذلك. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢١٣.

(٤) أي على تلك الفتنة دعاة، أي جماعة قائمة بأمرها، وداعية للناس إلى قبولها، كأنهم كائنون على شفا =

حذيفة، وأنت عاض على جذل[١] خير لك من أن تتبع أحداً منهم[٢]»[٣].

٢- وفي رواية أخرى بإضافة أنها فتنة بكماء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذكر النبي ﷺ أنه كان يقول: «ويل للعرب من شر قد اقترب، من **فتنة عمياء صماء بكماء**، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ويل للساعي فيها من الله يوم القيامة»[٤]،[٥].

فالبَكَم: الخَرَس، والصمم: الطرش، أراد أن هذه الفتنة لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنطق، فهي لفقد الحواس، لا تقلع ولا ترتفع؛ لأنها لا حواس لها فترعوي إلى الحق، وقيل: شبَّهها لاختلاطها، وقتل البريء فيها، والسقيم بالأعمى الأصم الأخرس؛ الذي لا يهتدي إلى شيء، فهو يخبط خبط عشواء[٦]، وهذه الفتنة العظيمة

=

جرف من النار، يدعون الخلق إليها؛ حتى يتفقوا على الدخول فيها. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢١٤.

(١) أي آخذ بقوة على أصل شجر؛ يعني والحال أنك على هذا المنوال من اختيار الاعتزال. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢١٣.

(٢) أي من أهل الفتنة أو من دعاتهم. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢١٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، (الحديث: ٤٢٤٦): ٢/ ٤٩٧، واللفظ له، قال الألباني: «حسن»، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٣/ ٤-٥، ورواه النسائي في سننه الكبرى في كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعلم القرآن واتباع ما فيه، (الحديث: ٨٠٣٢): ٥/ ١٧، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٣٢٨٢): ٣٨/ ٣١٦، قال الأرناؤوط في هامشه: «حديث حسن».

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث ما ترك شيئاً يكون إلى أن تقوم الساعة إلا حدّث به، (الحديث: ٦٧٠٥): ١٥/ ٩٨، واللفظ له، قال الأرناؤوط في هامشه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، ورواه نعيم بن حماد المروزي في كتاب الفتن، له، (الحديث: ٤٦٧): ١/ ١٧٦.

(٥) العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور آل سلمان: ١/ ٤٨.

(٦) جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير: ١٠/ ٣٩، فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٤/ ١٠١.

والبلية الجسيمة؛ يعمى فيها الإنسان عن أن يرى الحق، ويطرش أهلها عن أن يسمع فيها كلمة الحق أو النصيحة، ويخرس فلا ينطق به، ولا يتضح الباطل من الحق، وقيل: أن تكون بحيث لا يرى منها مخرجًا ولا يوجد دونها مستغاثًا؛ أو أن يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة؛ فيعمون فيها، ويصمون عن تأمل قول الحق، واستماع النصح، ويمكن أن يكون وصف الفتنة بهذه الصفات الثلاث؛ كناية عن ظلمتها، وعدم ظهور الحق فيها، وعن شدة أمرها وصلابة أهلها[١]، وقيل: إنها من الألفاظ التي يتبين ظهور الجهل فيها، وخفاء العلم، فلهذا كان أصحابها بمنزلة أهل الجاهلية[٢].

المبحث السابع

الصفة السابعة: كثيرة وعامة كقطر ومطر السماء

فقد وردت هذه الصفة في حديث بروايتين اثنتين هما:

١- ما رواه أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أشرف[٣] النبي ﷺ على أُطُم من آطام المدينة[٤]، ثم قال: «هل ترون ما أرى؟ إني أرى مواقع **الفتن**[٥] خلال بيوتكم[٦]

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي: ١١/ ٢١٤، ٢٣٢.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: ابن تيمية: ٤/ ٥٤٨.

(٣) أي اطلع من علو. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ١٣.

(٤) أي شاهق جبل، أو حصن، أو بناء مرتفع. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري: ٨/ ٣٣٨٦.

(٥) أي مواضع سقوط الفتن. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود العيني: ١٠/ ٢٤٢.

(٦) أي أوساطها، وقيل: الخلال النواحي. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: محمود العيني: ٢٤/ ١٨٢.

كوقع القطر»[١].

٢- وما رواه أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا، قال: إني لأرى **الفتن** تقع خلال بيوتكم **كوقع المطر**»[٢].

والتشبيه بمواقع القطر أو المطر في الكثرة والعموم؛ أي أنها كثيرة، وتعم الناس، ولا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الهرج الذي سيحصل بعد فتنة استشهاد عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[٣]، وحرب الحرة بالمدينة المنورة، وما تلاها من حروب جرت بينهم بسبب ذلك؛ كوقعه الجمل، ومقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالعراق، وحرب صفين بالشام[٤]، وغير ذلك، وهذا فيه معجزة ظاهرة له ﷺ، فقد وقع كما أخبر، وإنما اختصت المدينة المنورة بذلك؛ لأن قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل، وصفين كان بسبب قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «ويل للعرب من شر قد اقترب»، (الحديث: ٧٠٦٠): ١٧/ ٥٥٠، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، (الحديث: ٢٨٨٥): ٤/ ٢٢١١.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢١٨١٠): ٣٦/ ١٣٩، واللفظ له، قال الأرناؤوط في هامشه: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، ورواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، له، (الحديث: ١٦): ١/ ٢١٣.

(٣) خلافة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صحيحة بالإجماع، وقتل مظلومـًا، وقتلته فسقة؛ لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجر منه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما يقتضيه، ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال، تحزبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٥/ ١٤٨- ١٤٩.

(٤) وهي من الفتن الماضية التي زالت وانتهت. انظر: سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى عسيري: ٤٦- ٥١.

والقتال بالنهروان؛ كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه؛ وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم؛ لأنه إذا وقع في أرض معينة عمها ولو في بعض جهاتها[(١)]،[(٢)].

المبحث الثامن

الصفة الثامنة: شديدة وسريعة كرياح الصيف

قد وردت هذه الصفة في حديثين اثنين هما:

١- فقد قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة، فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرّ إليّ في ذلك شيئًا، لم يحدّثه غيري؛ ولكن رسول الله ﷺ، قال: وهو يحدّث مجلسًا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ؛ وهو يعد الفتن: «منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن: **فتن كرياح الصيف**؛ منها صغار، ومنها كبار»، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري[(٣)].

٢- وما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون **فتن كرياح الصيف**، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، من استشرف

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٨/٨، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/١٣.

(٢) الفتنة وموقف المسلم منها: د.محمد العقيل: ٣٣- ٣٥، فقه التعامل مع الفتن: زين العابدين الغامدي: ٤٠، ٦٤- ٧٠، الفتن في الآثار والسنن: جزّاع الشمّري: ٦٣- ٦٤، ٧٦- ٧٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، (الحديث: ٢٨٩١): ٤/ ٢٢١٦.

لها، استشرفته[١]»[٢].

وشبهها برياح الصيف؛ يريد أن فيها بعض الشدة، وإنما خصَّ الصيف؛ لأن رياح الشتاء أقوى[٣]، وقال بعضهم: لتفاوت زمنها، وسرعة مجيئها وذهابها، وكذلك التفاوت في الشدة، والآثار التي تحدثها، وهي من الفتن العامة[٤].

المبحث التاسع

الصفة التاسعة: موَّاجة كموج البحر

ذلك فيما رواه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: بينا نحن جلوس عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في **الفتنة**؟ قال: «فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره؛ تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال: ليس عن هذا أسألك؛ ولكن التي **تموج كموج البحر**، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابـًا مغلقـًا، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أيكسر الباب أم

---

(١) يريد من انتصب لها انتصبت له، وتلته وصرعته وقتلته، وقيل: هو من المخاطرة والتغرير والإشفاء على الهلاك؛ أي من خاطر بنفسه فيها أهلكته. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض: ٢/ ٢٤٩.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب الرهن، باب ما جاء في الفتن، (الحديث: ٥٩٥٩): ١٣/ ٢٩١، واللفظ له، قال الأرناؤوط في هامشه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، ورواه أبو يعلى في مسنده، (الحديث: ٥٩٦٥): ١٠/ ٣٧٣، قال حسين سليم أسد في هامشه: «إسناده صحيح».

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير: ١٠/ ٢٩.

(٤) العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور بن حسن آل سلمان: ١/ ٤٨، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة: حسين بن محسن أبي ذراع الحازمي: ١٤١- ١٤٣، أحاديث الفتن والفقه المطلوب: د. مأمون فريز جرار: ٢٦.

يفتح[١]؟، قال: لا، بل يكسر، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذاً لا يغلق أبداً، قلت: أجل، قلنا لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكان عمر يعلم الباب؟، قال: نعم، كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط[٢]، فهبنا أن نسأله: من الباب؟ فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[٣].

وشبهت الفتن بموج البحر؛ لشدتها، وعظمتها، وكثرة شيوعها، وقوتها، وأنها تضطرب، وتذهب وتجيء، ويتبع بعضها بعضاً، ومنها القصير، ومنها الطويل، وكله يعصف، فكان أولهما فتنة قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما نشأ منها من افتراق قلوب المسلمين، وتشعب أهوائهم، وتكفير بعضهم بعضاً، وسفك بعضهم دماء بعض، وكان الباب المغلق الذي بين الناس وبين الفتن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان قتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كسراً لذلك الباب، فلذلك لم يغلق ذلك الباب بعده أبداً، وهذا النوع من الفتن يشتد بمضي الزمان، ويظهر للعيان، ويهيّج من بعض البلدان، فتارة يكون على هيئة عواصف وكوارث وزلازل وبراكين، وتارة يكون عذاباً وعقوبة، كما يموج البحر ويضطرب عند هيجانه، ويدفع بعضه بعضاً، ولا يمكن لأحد الوقوف أمامه؛ لأنه لا يمكن لأحد أنْ يقف أمام موج البحر، وأنّ الناس أمام هذه الفتن ستضطرب حركتهم، ويختل توازنهم، وتضيق صدورهم، وينقطع نَفَسهم، وهذه حال من يصارع الموج، وكنى بذلك عن شدة المخاصمة، وكثرة المنازعة، وما ينشأ عن ذلك

(١) لأن المكسور لا يمكن إعادته بخلاف المفتوح؛ ولأن الكسر لا يكون غالباً إلا عن إكراه وغلبة وخلاف عادة. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٤.

(٢) معناه حدثته حديثاً صدقاً محققاً ليس هو من صحف الكتابيين، ولا من اجتهاد ذي رأي؛ بل من حديث النبي ﷺ. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج موج البحر، (الحديث: ٦٦٨٣): ٦/ ٢٥٩٩، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يأرز بين المسجدين، (الحديث: ٢٣١): ١/ ١٢٨.

من المشاتمة والمقاتلة، وقد لا ينجو منها إلا من اعتزلها، وهي من الفتن العامة، وهي تدخل بيت كل مسلم، وقيل: هي واقعة التتار، إذ لم يقع في الإسلام، ولا في غيره مثلها[١]، ولعل الصواب أن واقعة التتار مفردة من مفرداتها، وإلا فهي كثيرة، وقد تدخل في الفتن الخاصة ببلدة معينة صغيرة، تخص فئة، أو عامة تشمل الناس جميعًا، وكذلك تظهر الفتن في آخر الزمان على هيئة أمواج تجيء وتنكشف، وهي لا تكاد تسلم منها محلّة، ولكن ارتطامها المباشر يكون في بلدان معيّنة، وتبدأ بالمشرق، ثم تتحوّل إلى المغرب، وعندئذ تكون بدايات وإرهاصات الملاحم التي تسبق خروج المهدي، وإذا علمنا أنّ أمواج البحر تتكاثر وتتعاظم، مع شدة الريح وانتشار السحاب؛ فإنّ لنا أن نتصور جو الفتن بأنه جو مظلم، فالذي يشاهد موج البحر العاتي فتبدو أمامه زرقة البحر مع ظلمة السحاب وكثرته، مع شدة هبوب الرياح وقوتها؛ فكذلك الذي يواجه هذه الفتن، تحيط به الظلمات والأعاصير، فهو مهموم مغموم، ظاهراً وباطنًا، وللموج صوت؛ وأيّ صوت؟ ولهذه الفتن صوت، لا يسمع الواقف فيها صوت ما عداها، وإنما تطبق عليه، فهي كالصّاخة، فيظل الواقف فيها حيرانًا خائفًا قلقًا، يتطلع إلى الأمان ولا يجده، وهل ينجو من البحر وشدة موجه إلا من بَعُد عنه، والناس حين يواجهون أمواج البحر مجتمعين، في أية حالة من حالاته، فإنه يُسمع لهم صراخ وعويل وتخاصم، لا يسمع الواحد منهم الآخر، وكل يريد أن ينجو بنفسه، وقد يُغرِق الواحد منهم غيره لينجو هو[٢].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧١، فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٤/ ٩٥، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن رجب الحنبلي: ٤/ ٢٠٣، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٦/ ٦٠٦.

(٢) العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور آل سلمان: ١/ ٤٣- ٥١، ١٣٨، ٣٦٢، ٤٧٠، موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة: حسين بن الحازمي: ١٠٣- ١١٢.

المبحث العاشر

الصفة العاشرة: العرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً

ظهرت هذه الصفة في الحديث الذي رواه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أيّكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟، فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله، وجاره؟، قالوا: أجل، قال: تلك تكفّرها الصلاة، والصيام، والصدقة، ولكن أيّكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَسْكَتَ القوم(١)، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك(٢)، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن(٣) على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً**، فأي قلب أُشْرِبَهَا(٤)؛ نكت فيه نكتة سوداء(٥)؛ وأي قلب أنكرها(٦)؛ نكت فيه نكتة بيضاء؛ حتى تصير على قلبين(٧): على أبيض مثل الصفا(٨)؛

---

(١) هو من الإسكات بمعنى السكوت، وإنما سكتوا؛ لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة. انظر: هامش مسند أحمد: السندي: ٣٨/ ٣١٤.

(٢) كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها؛ فإن الإضافة إلى الله تعالى تشريف. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧١.

(٣) هي البلايا والمحن، وقيل: العقائد الفاسدة والأهواء الكاسدة. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري: ٨/ ٣٣٧٧.

(٤) أي دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها، وحلّت منه محل الشراب، أي خالطته مخالطة لا انفكاك لها. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٢.

(٥) أي نقط نقطة. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٢.

(٦) أي ردها. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٢.

(٧) أي نوعين وقسمين. انظر: هامش مسند أحمد: الخطابي: ٣٨/ ٣١٥.

(٨) هو الحجر الصافي الأملس الذي لا يتغير لشدته وملاسته بطول الزمان. انظر: هامش مسند أحمد: الخطابي: ٣٨/ ٣١٥.

فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض؛ والآخر: أسود مُرْبَادّاً[١]؛ كالكوز مُجَخِّياً[٢]، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً؛ إلا ما أشرب من هواه، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكسراً لا أباً لك، فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قلت: لا، بل يكسر، وحدثته: أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت[٣]، حديثاً ليس بالأغاليط»[٤].

وبسبب شدة هذه الفتن فإنها تلتصق بعرض القلوب وجوانبها، كما يلصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه؛ بسبب شدة التصاقها به، وقيل: إنها تظهر على القلوب فتنة بعد فتنة كما يُنسج الحصير عوداً عوداً، وتعرف ما تقبل منها ويوافقها، وما تأباه وينفر منها، وقيل: المراد بالحصير المحصور المحبوس الذي أحاط به القوم، أي: أن الفتن تحيط بالقلوب كما يحاط الحصير، وقيل: توضع عليها وتبسط كما يبسط الحصير، وأن المراد بالحصير هنا الحصير المعلوم عند عملها ونسجها،

---

(١) هو لون بين السواد والغبرة، وقيل: هي أن يختلط السواد بكدرة، وقيل: بعضه أسود وبعضه أبيض، وقيل: المربد الملمع بسواد وبياض، وقيل: صار كالرماد. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٣-١٧٤، هامش مسند أحمد: الخطابي: ٣٨/ ٣١٥.

(٢) أي مائلاً، وقيل: منكوساً، وقيل: شبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنحرف؛ الذي لا يثبت الماء فيه، وقيل: إن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي؛ دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة؛ وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام؛ مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه؛ ولم يدخله شيء بعد ذلك. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٣.

(٣) يحتمل أن يكون حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعه من النبي ﷺ، هكذا على الشك؛ والمراد به الإبهام على حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره؛ ويحتمل أن يكون حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علم أنه يقتل؛ ولكنه كره أن يخاطب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقتل، فإن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعلم أنه هو الباب، والحاصل أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الباب فما دام حياً لا تدخل الفتن؛ فإذا مات دخلت الفتن، وكذا كان. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وإنه يأرز بين المسجدين، (الحديث: ٢٣١): ١/ ١٢٨.

شبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد، وهو أشبه بلفظ الحديث ومعناه، وقيل: أراد عرض أهل الحق واحداً واحداً، وهذا التفسير إذا ضبطت بضم العين وفتح الدال؛ عُودَاً عُودَاً، وهو القول الراجح، ومن العلماء من رجّح ضبطها بفتح العين والدال، عَودَاً عَودَاً؛ ويكون معناها أن الفتنة تعاد على الناس وتتكرر شيئًا بعد شيء، ومن العلماء من رواها عَوذَاً عَوذَاً؛ بفتح العين وبالذال، فمعناه سؤال الاستعاذة منها؛ أي نسألك أن تعيذنا منها[١]،[٢].

المبحث الحادي عشر
الصفة الحادية عشرة: مترققة بعضها ببعض

قد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً؛ فمنّا من يصلح خباءه؛ ومنا من يَنْتَضِل[٣]؛ ومنا من هو في جَشَرِهِ[٤]؛ إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاةَ جامعة؛ فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقـًا عليه أن يدل أمته على خير ما يَعْلَمُه لهم؛ وينذرهم شر ما يَعْلَمُه لهم؛ وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها؛ وسيصيب آخرها

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار: القاضي عياض: ١/ ٢٠٥، ٢/ ٧٣، ١٠٦، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢/ ١٧١ – ١٧٢، هامش مسند أحمد: السندي والخطابي: ٣٨/ ٣١٥.

(٢) العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور آل سلمان: ١/ ٤٥ – ٤٦.

(٣) هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٣٣.

(٤) هي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٣٣.

بلاء وأمور تنكرونها؛ وتجيء **فتنة فَيُرَقِّقُ بعضها بعضها**، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي؛ ثم تنكشف؛ وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يُزَحْزَحَ عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته؛ وهو يؤمن بالله، واليوم الآخر؛ وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه[١]، ومن بايع إماماً؛ فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه؛ فليطعه إن استطاع؛ فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر[٢]؛ فدنوت منه فقلت: أنشدك الله، آنْتَ سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه؛ وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية، يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل؛ ونقتل أنفسنا[٣]، والله يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[٤]، قال: فسكت ساعة، ثم قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله[٥]»[٦].

---

(١) هذا من جوامع كلمه ﷺ وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٣٣.

(٢) معناه ادفعوا الثاني، فإنه خارج على الإمام؛ فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه؛ فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله؛ ولا ضمان فيه؛ لأنه ظالم متعد في قتاله. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٣٤.

(٣) المقصود بهذا الكلام: أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأول، وأن الثاني يقتل، فاعتقد هذا القائل هذا الوصف في معاوية لمنازعته علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكانت قد سبقت بيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرأى هذا أن نفقة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أجناده وأتباعه؛ في حرب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنازعته ومقاتلته إياه من أكل المال بالباطل؛ ومن قتل النفس؛ لأنه قتال بغير حق فلا يستحق أحد مالاً في مقاتلته. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٣٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٥) فيه دليل على وجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٣٤.

(٦) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، (الحديث: =

وصفة هذه الفتن المتدافعة المتداخلة مع بعضها البعض؛ بأنها يرقق بعضها بعضًا، بحيث يصير بعضها خفيفًا لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقًا؛ وقيل: معناه يشبه بعضها بعضًا، وقيل: يدور بعضها في بعض، ويذهب ويجيء، وقيل: معناه يُشَوِّق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها(١)، والحديث يدل على اشتداد الفتن كلما مر الزمن(٢).

=

١٨٤٤): ٣/ ١٤٧٢.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٢/ ٢٣٣.

(٢) العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور آل سلمان: ٢/ ٥٣٨، الضياء اللامع من الخطب الجوامع: محمد العثيمين: ٦٣٢.

خاتمة

الحمد لله الذي مَنَّ عليَّ في إتمام هذا البحث، وإنّي في ختامه أخلص إلى أهم النتائج الآتية:

١- أن التعريف المختار للصفة هو: «عبارة عما ما قام بالموصوف من نعوت».

٢- أن التعريف المختار للفتنة هو: «ما يصيب المسلم من خير أو شر في دينه أو دنياه».

٣- أن التعريف المختار للسنة هو: «ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو سيرة، أو صفة خُلقية، أو خَلقية».

٤- تمثلت صفات الفتن في السنة النبوية بإحدى عشرة صفة؛ وهي: كثرة القتل وإراقة الدماء، والعذاب في الدنيا، وإقلال الأمانة وإمراج العهود، ومظلمة سوداء قوية، ومحيطة بالناس كالظُّلل والظُّلم، وعمياء صماء بكماء، وكثيرة وعامة كقطر ومطر السماء، وشديدة وسريعة كرياح الصيف، ومواجة كموج البحر، والعرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً، ومترققة بعضها ببعض.

٥- الصفة الأولى هي كثرة القتل وإراقة الدماء؛ لأن الفتنة يتبعها في الأغلب القتل وكثرته، وتسمى هذه الفتنة أحيانًا بفتنة الهرج وكثرته، وهي من الفتن العامة.

٦- الصفة الثانية، العذاب في الدنيا، وقد فسّره الصحابي الجليل أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقتل الذي يحصل بين المسلمين، وهذا ما أكده علماء المسلمين؛ كالحروب، والهرج التي تحصل فيما بينهم.

٧- الصفة الثالثة، إقلال الأمانة وإمراج العهود، وهذه الصفة امتداد للصفة السابقة، فعندما يقل خيار الناس، وتكثر شرارهم، فيؤدي ذلك إلى ذهاب الأمانة،

ونقض العهد، وكذلك يلتبس عليهم أمر دينهم فلا يعرف الأمين من الخائن، ولا البر من الفاجر.

٨- الصفة الرابعة، مظلمة سوداء قوية كقطع الليل المظلم، وقد ورد هذا التشبيه في بعض ألفاظ الأحاديث، وورد بألفاظ أخرى في عدة روايات، وكلها تفيد بأنها فتن سوداء مظلمة؛ مثل: الجون، والأحلاس، والدهيماء، وهناك رواية تضيف بأن هذه الفتن السوداء المظلمة قوية كجبهة الثور؛ وهذا يدل على التباسها، وفظاعتها، وشيوعها، واستمرارها، من حيث إنها شاعت ولا يعرف سببها، ولا طريق للخلاص منها.

٩- الصفة الخامسة، محيطة بالناس كالظُّلل، والظُّلم، كأنها السحاب أو الجبال، أو السواد، وكلاهما يحيط بالناس من كل جهة، وأن الناس سيضرب بعضهم رقاب بعض، كما تنصب وترتفع الحية السوداء على الملدوغ فتلدغه، وشبهت الفتن بها؛ لشدة سوادها وكثرتها، وعظم شأنها، وأنها يتبع بعضها بعضاً، فهي متراكمة.

١٠- الصفة السادسة، عمياء، صماء، بكماء، وهي كناية عن ظلمتها؛ لأنه يعمى فيها الإنسان عن أن يرى الحق، ويطرش عن أن يسمع فيها كلمة الحق أو النصيحة، ويخرس فلا ينطق به، ولا يتضح الباطل من الحق، فيكون أصحابها بمنزلة أهل الجاهلية.

١١- الصفة السابعة، كثيرة وعامة كقطر ومطر السماء، والتشبيه بذلك يدل على الكثرة والعموم؛ بحيث تعم الناس، ولا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى كثرة الهرج، والحروب بين المسلمين.

١٢- الصفة الثامنة، شديدة وسريعة كرياح الصيف؛ لأن فيها بعض الشدة، وإنما خصَّ الصيف؛ لأن رياح الشتاء أقوى، ولتفاوت زمنها، وسرعة مجيئها

وذهابها، وشدتها، والآثار التي تحدثها، وهي من الفتن العامة.

١٣- الصفة التاسعة، موَّاجة كموج البحر، وشبهها بذلك؛ لشدتها، وعظمتها، وكثرة شيوعها، وقوتها، وأنها تضطرب، وتذهب وتجيء، ويتبع بعضها بعضـًا، ومنها القصير، ومنها الطويل، وكله يعصف.

١٤- الصفة العاشرة، العرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً؛ أي تلتصق بعرض القلوب وجوانبها، كما يلصق الحصير بجنب النائم، ويؤثر فيه؛ بسبب شدة التصاقها به، وقيل: إنها تظهر على القلوب فتنة بعد فتنة كما يُنسج الحصير عوداً عوداً، وتعرف ما تقبل منها ويوافقها، وما تأباه وينفر منها، وقيل: أن الفتن تحيط بالقلوب كما يحاط الحصير، وقيل: توضع عليها وتبسط كما يبسط الحصير.

١٥- الصفة الحادية عشرة، مترققة بعضها ببعض؛ بحيث يصير بعضها خفيفـًا لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقـًا؛ وقيل: معناه يشبه بعضها بعضـًا، وقيل: يدور بعضها في بعض، ويذهب ويجيء، وقيل: معناه يُشَوِّق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها.

توصيات:

وأما التوصيات التي توصل إليها البحث فأجملها في الآتي:

١- العمل على التحذير من الفتن والوقاية منها بإدخالها في مناهج التعليم العام، ومفردات بعض المقررات الجامعية، وفي قضايا البحث العلمي بمؤسسات التعليم العالي.

٢- دعوة الجامعات وأساتذتها كل حسب تخصصه لدراسة الفتن من كل النواحي الدينية، والتربوية، والنفسية، والاجتماعية، والسياسية، ونحوها، وتوجيه

السلوكيات للتحذير والوقاية من الفتن.

٣- تفعيل مؤسسات الإعلام الدعوي من خلال إدخال برامج في التحذير والوقاية من الفتن.

٤- إنشاء كراسي علمية في الجامعات متخصصة في موضوع الفتن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، د.عبد المجيد محمود عبد المجيد، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣- الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، حياة بن محمد بن جبريل، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٤- إثبات تواتر حديث بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم، د.أحمد يوسف أبو حلبية، المجلد الثامن، العدد (٢)، (يونيه، ٢٠٠٠م)، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة.

٥- اجتياح حاكم العراق للكويت، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٤)، (رجب، ١٤١٢هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٦- أحاديث الفتن والفقه المطلوب، د.مأمون فريز جرار، مجلة البيان، العدد (٣٢)، السنة (٥)، (صفر، ١٤١١هـ، سبتمبر، ١٩٩٠م)، المنتدى الإسلامي، الرياض.

٧- أحداث وأحاديث فتنة الهرج: دراسة لفتنة القتال (الهرج) في تاريخ المسلمين، د.عبد العزيز صغير دخان، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة.

٨- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.

٩- بشائر على طريق العودة إلى الله، رشيد كهوس، مجلة البيان، العدد (٢٠٨)، السنة (١٩)، (ذو الحجة، ١٤٢٥هـ، يناير، ٢٠٠٤م)، المنتدى الإسلامي، الرياض.

١٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت.

١١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط١، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، دار الفكر، دمشق.

١٥- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، مكتبة المعارف، الرياض.

١٧- السنة قبل التدوين، د.محمد عجاج الخطيب، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٨- السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني، عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، دار القلم، دمشق.

١٩- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٠- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.

٢١- سنن محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢- سنن أحمد بن شعيب النسائي، (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٢٣- سنن أحمد بن شعيب النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، عثمان بن سعيد المقرئ أبو عمرو الداني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض.

٢٥- سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة، مصطفى بن أحمد بن سلطان عسيري، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار القبس، الرياض.

٢٦- شرح سنن ابن ماجه، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كراتشي.

٢٧- شذرات من علوم السنة، د.محمد الأحمدي أبو النور، (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م)، نهضة مصر، القاهرة.

٢٨- صحيح محمد بن حبان التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، (١٤١٤هـ ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٩- صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ط٣، (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م)، دار ابن كثير، دار اليمامة، بيروت.

٣٠- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣١- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٢- صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٣- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٤- ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٥- ضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٦- الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح العثيمين، ط١،

(١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٣٧- العراق في أحاديث وآثار الفتن، مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، مكتبة الفرقان، دبي.

٣٨- علوم الحديث ومصطلحه، د.صبحي الصالح، ط١٩، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط٢، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١- غريب الحديث، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٤٢- الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.

٤٣- الفتاوى الفقهية الكبرى، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، جمعها: عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي، المكتبة الإسلامية.

٤٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب

الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

٤٦- الفتنة وموقف المسلم منها، د.محمد عبد الوهاب العقيل، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار أضواء السلف، الرياض.

٤٧- الفتن في الآثار والسنن، جزّاع الشمّري، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، مكتبة الصحوة الإسلامية، حولي، الكويت.

٤٨- الفتن والمخرج منها، د.محمد بن سعد الشويعر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٤)، (ذو القعدة، ١٤٢٥هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٤٩- الفتن وموقف المسلم منها: رؤية شرعية تأصيلية، د.علي بن سعد بن صالح الضويحي، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار ابن الجوزي، الدمام.

٥٠- فقه التعامل مع الفتن، زين العابدين بن غرم الله الغامدي، ط١، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، دار الهدي النبوي، المنصورة، دار الفضيلة، الرياض.

٥١- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي القحطاني، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٥٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ط١، (١٣٥٦هـ)، المكتبة التجارية، القاهرة.

٥٣- كتاب الفتن، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهري، ط١، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، مكتبة التوحيد، القاهرة.

٥٤- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، مكتبة الرشد، الرياض.

٥٥- الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، ط١، دار صادر، بيروت.

٥٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، دار الفكر، بيروت.

٥٨- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.

٥٩- المحن، محمد بن أحمد التميمي المغربي، تحقيق: د.عمر سليمان العقيلي، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، دار العلوم، الرياض.

٦٠- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي محمد القاري، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت.

٦١- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ومعه: تعليقات الذهبي في كتابه التلخيص، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٢- مسند أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تحقيق: د.محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، دار هجر، القاهرة.

٦٣- مسند أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق.

٦٤- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط٢، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٥- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، دار التراث، بيروت.

٦٦- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د.سعد بن ناصر الشثري، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، دار العاصمة، الرياض.

٦٧- معجم علوم الحديث النبوي، د.عبد الرحمن بن إبراهيم الخميسي، مكتبة العبيكان، الرياض.

٦٨- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٦٩- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة.

٧٠- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، اتحاد الكتاب العرب.

٧١- مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة، د.ناصر بن عبد الكريم العقل، ط٢، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، دار الصفوة، القاهرة.

٧٢- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد

الحليم الدمشقي، المشهور بابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٧٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ط٢، (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٤- منهج النقد في علوم الحديث، د.نور الدين عتر، ط٣، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، دار الفكر، دمشق.

٧٥- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الصفوة، الغردقة.

٧٦- موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة، حسين بن محسن الحازمي، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، أضواء السلف، الرياض.

٧٧- المهذب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم بن علي النملة، ط١، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، مكتبة الرشد، الرياض.

٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، المكتبة العلمية، بيروت.

Characteristics of Trial in the Sunnah

Dr. Mohamed Abdel Razzaq Aswad

Professor of the Prophetic Sunnah and its Associate Sciences in the Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, University of Dammam

Abstract

The paper deals with Shaira terminology. It focuses on the first characteristic which is the large number of killings and bloodshed, the second characteristic is the torment in life, the third characteristic is the disappearance of trust and the breaking of covenants, the fourth characteristic is strongly dark black, the fifth characteristic is surrounding the people like shades and injustice, the sixth characteristic is blind, deaf and dumb, the section seventh characteristic is many and as public as raindrops and the rain, the eighth characteristic is strong and fast like the wind of the summer, the ninth characteristic is super storm like sea wave, the tenth characteristic is the display to the hearts as mat sticks one after the other, and the eleventh characteristic is super tending one to another, then the conclusion and the findings and the recommendations.

Key words:

character, trial, sunnah, prophetic.